الوقائع الاقتصادية في العصور القديمة (النظام البدائي والعبودي)

عرف الإنسان منذ القديم مجموعة من الظواهر الاقتصادية تخللها كثير من الأحداث خلال فترات تطور المجتمعات البشرية، وكان للإنسان رغبة في تحسين مستوى معيشته فغير من نمط حياته حسب درجة تقدمه حسب الوسائل المتاحة لكل فترة.

أولا :النظام المشاعي(البدائي)

تعتبر المشاعية أول نظام عرفته البشرية، حيث كان الناس يعيشون على شكل قطيع، ينتشرون في الغابات و على ضفاف الأنهار، كما اعتمد البشر في حياتهم آنذاك على ثمار الأشجار و على النباتات، حيث اتسمت تلك الفترة بالوحشية. و قد امتد نظام المشاعية أو النظام البدائي أو عصر ما قبل التاريخ إلى ما يقارب 19 ألف سنة.

و يعد النظام المشاعي البدائي أول نظام اجتماعي اقتصادي في التاريخ، حيث كان الانسان آنذاك يستخدم وسائل إنتاج بسيطة وبدائية، وكان اعتماد الإنسان على الزراعة عاملا من عوامل تطوير حياته فبدأ يسكن في أكواخ خشبية و طينية بدلا من سكن الكهوف الموحشة و بدأ في تكوين جماعات من الأقارب كالمقربين يتعاونون معا ويعيشون متقاربين.

انقسم النظام المشاعي إلى ثلاث مراحل

***مرحلة الوحشية**

اعتمد هذا الطور على الجمع والتقاط الثمار كالنباتات الطبيعية الغابية ثم في مرحلة لاحقة باحتراف الإنسان لصيد السمك واستخدام النار المتولدة من الاحتكاك. ثم استخدم الإنسان القوس و السهم في الصيد.

مرحلة البربرية :عرف الفن الإنتاجي تطورا نسبيا خلال هذه المرحلة، حيث لجأ لتربية الماشية كزراعة النباتات، ثم تطور بعد ذلك لتربية الحيوانات المنزلية وتميزت تلك المرحلة بالتوسع في الزراعة.

مرحلة التمهيدي الحضاري :تعتبر هذه المرحلة هي الحد الفاصل بين النظام البدائي والنظام المدني أي نظام الرق.

و عن **علاقات الانتاج** في النظام البدائي فقد تميزت بسمتين هما:

السمة الأولى في المجتمع البدائي هي العمل الجماعي الذي ياخد شكل التعاون البسيط,حيث يقوم كل أفراد العشيرة بالعمل بطريقة جماعية,حيث يهم كل الأفراد بانجاز عمل واحد فقط (الصيد مثلا) دون أن يكون هناك تخصص أو تقسيم عمل ,باستثناء التقسيم الفسيولوجي للعمل حسب الجنس (بين الرجال و النساء) أو التقسيم حسب السن ,حيث كانت النساء تقوم بجمع النباتات و إدارة شؤون المنزل و كان الصيد من اختصاص الرجال,.

السمة الثانية لعلاقات الإنتاج البدائي هو الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج حيث ترتبط ارتباطا وثيقا بالسمة الأولى (العمل الجماعي و التعاون البسيط.) اد كانت الأرض و جميع الموجودات(أدوات العمل) ملكا للجميع و هذا طبعا باستثناء بعض الأشياء مثل الألبسة و بعض وسائل الدفاع عن النفس و ذلك لضرورة استخدامها بطريقة فردية

اما عن التقسيم الاجتماعي للعمل ارتبط التقسيم الاجتماعي للعمل مع ظهور كل من الزراعة و الرعي أي زراعة الأرض و تربية المواشي. حيث حصل تخصص في العمل (تقسيم للعمل) على أساس المشاعيات هو تأليف قبائل الرعاة و قبائل الزراعة و هو ما زاد في إنتاجية العمل لحد كبير كانت أهم نتيجة لهدا التقسيم الاجتماعي للعمل قيام و تطور ما يسمى بالتبادل بين قبائل الرعاة و قبائل الزراعة. و تجدر الإشارة هنا أن التبادل كان في

البداية يتم على أساس عشائري بين رؤساء العشائر و باسم عشائرهم ثم تحول بعد تملك الماشية ملكية خاصة إلى تبادل بين الأفراد و قد كان هذا التحول تدريجيا إلى أن أصبح التبادل الفردي هو الشكل الوحيد للتبادل.

ويمكن القول عند التكلم عن التملك الخاص و الطبقات أننا بصدد التكلم عن مرحلة جد متقدمة من النظام المشاعي) تكاد تكون بمثابة مرحلة انتقالية بين النظام المشاعي و نظام الرق. وقد أدى ظهور الملكية الخاصة إلى تقسيم العشيرة أولا إلى اسر كبيرة ثم إلى وحدات عائلية صغيرة.

اما عن التنظيم الاجتماعي فقد كانت العشيرة تمثل الوحدة الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية التي يقوم عليها المجتمع البدائي و يذكر أن المرأة احتلت مكانة مرموقة و لعبت دورا هاما في المرحلة الأولى للنظام العشيري حيث كانت الزراعة البدائية و التدجين البدائي من اختصاصها و هما أهم من الصيد (تخصص الرجل) من الناحية الاقتصادية حيث يعتبر الصيد ذو مردود غير مضمون

ثانيا :نظام الرق (النظام العبودي)

لم يكن نظام الرق أو الاستعباد معروفا في عصر الإنسان الحجري المتوحش، حيث كان الناس حينها يميلون للعمل الجماعي والاشتراك في تحصيل غذائهم والرق من صنع الانسان المتحضر.

بدا نظام الرق بالتشكل عقب انهيار النظام المشاعي(حوالي3000-4000 قبل الميلاد) واستمر إلى غاية القرنين الثالث و الرابع الميلادي في شمال إفريقيا كآسيا وازدهر في اليونان و روما إلى غاية القرن الخامس الميلادي.

اهم خصائص النظام العبودي:

***الملكية:**

ساد في هذه الفترة ما يسمى بنظام الملكية المطلقة لوسائل الإنتاج ,الأرض و أدوات العمل...بالإضافة إلى امتلاك الإنسان– العبيد – و اعتباره شيء من الاشياء و اداة من أدوات الإنتاج.

العمل:

كانت السمة الغالبة للعمل في هذه المرحلة هي العمل الجماعي و التعاون بين العبيد و لكن في إطار الإكراه الاقتصادي، إلى جانب عمل العبيد في جميع المجالات – الزراعة و الرعي و العمل الحرفي.اذ كان العبيد يقومون بإنتاج الجزء الاعظم من المنتجات و يشكل نشاطهم العمود الفقري في عملية الإنتاج في المجتمع العبودي – كان هناك بعض المنتجين من الأحرار الدين ينتجون بصفة فردية حيث تمتعوا بحرية امتلاك وسائل الإنتاج و العمل و كانوا في الغالب متخصصين في بعض الأعمال الحرفية – الحدادة و الألبسة و الزراعة – إلا انهم في نفس الوقت يخضعون للنظام العام. وعليه ما ميز نظام الرق ان المجتمع البشري كان مقسما إلى طبقات، حيث يرجع ذلك بشكل أساسي إلى علاقات الانتاج، فقد انقسم نظام الرق إلى ثلاث طبقات رئيسية هي:

***طبقة العبيد : و هم** المحرومين من ملكية وسائل الانتاج، والمكروهين على العمل بالعنف المباشر.

***طبقة المنتجين :** و هم المالكين الأحرار لوسائل الانتاج و يحتفظون بالتنظيم المعاشي كالحرفيين و الفلاحين والتجار.

***طبقة الأسياد :** هم ملاك العبيد الذين أصبح عددهم يزداد بسبب الحرب وتجارة الرقيق.

لقد تطورت عمليات التبادل في هذه المرحلة و أصبحت بظهور النقود – التي تطورت هي الأخرى و اخذت أشكالا مختلفة – تتم في شكل سلعة – سلعة نقدية – سلعة . و لقد لعب دور السلعة النقدية كل من الماشية و الملح و السمك المجفف و الجلود ...ثم تطورت النقود و اخذت أشكالا معدنية و كان لها أثرا كبيرا في تطور و تنمية التجارة.

خلال هذه المرحلة ظهرت المبادلات التجارية في شكل تبادل لبضائع و الذي تحول تدريجيا إلى تجارة منظمة، ونشأت الأسواق التي تجاوزت حدود الدولة الواحدة، وظهر ما يسمى بالتجارة الخارجية. واعتمد النشاط الاقتصادي على الزراعة كتربية المواشي مع ظهور الإنتاج الحرفي.

عوامل ظهور نظام الرق:

ساهمت عدة عوامل في ظهور هذا النظام الاقتصادي لعل أهمها

تطور أدوات الإنتاج و ظهور ظاهرة تقسيم العمل

ظهور إمكانية العمل الفردي نتيجة تطور وسائل الانتاج .

ظهور الملكية الخاصة والتي أصبحت فيما بعد وراثية،

عوامل انهيار نظام الرق: هناك اسباب كثيرة اهمها:

***التناقض بين قوى الإنتاج:**

يتميز أسلوب الإنتاج العبودي بالملكية المطلقة للسادة، بمعنى أن ينسب المنتج و وسائل الإنتاج إلى ملكية فردية خاصة بالإضافة إلى أخذ العملية الإنتاجية لطابع الإكراه و الالزام. ضعف إنتاجية وسائل أدوات العمل بسبب التناقض بين المصالح الاقتصادية للعبيد ومالكيهم اذ كان هذا الأخير محروما من جميع الحوافز المادية والمعنوية لذلك لم يكن مهتما بنتائج عمله او زيادة معدلات الإنتاجية

***التناقض بين الريف والمدينة:**

حيث أصبحت المدن مراكز للإنتاج الحرفي وتجمعا ثقافيا، أما الريف فلا زال محافظا على الكثير من سمات النظام المشاعي البدائي، ومن هنا ظهرت علاقة الاستغلال و التبادل غير المتكافئ بين الريف و المدينة، حيث يتم شراء منتجات الفلاحين بأسعار زهيدة و يعاد بيعها في المدن بأسعار مرتفعة.

***الصراع الطبقي وانهيار النظام العبودي:**

ظهر صراع طبقي أدى الى انهيار النظام العبودي ، حيث كان العبيد يهربون من العمل و يحطمون أدوات العمل، و تعتبر الانتفاضات المسلحة التي شنها العبيد ضد السادة كانتفاضة عبيد الصين من اهم الانتفاضات.

***الفتوحات الإسلامية ونهاية العيد الروماني:**

كان الفتح الإسلامي الذي التف حول شواطئ البحر الأبيض المتوسط فاصلا لنظام الرق، وهكذا فإن سقوط روما كإمبراطورية سجل في الوقت نفسه انهيار النظام العبودي بشكل كلي، و بنهاية العهد الروماني كان من المفروض أن تنتهي تلك الطبقات، إلا أنه حدث العكس، حيث أن النظام الطبقي قد مد جذوره أكثر في الفترة التي تلت العهد الروماني، أي بداية تطور النظام الإقطاعي في أوروبا.